



محمد موكري بعنسة كامران سبحان

عارنامه*

قصة: محمد موكري
ترجمة وتقديم: جلال زنگابادي

يعد محمد موكري (تولد ١٩٤٥ كركوك/ عصامي النشأة، من أبرز الأدباء في مشهد الثقافة الكردية المعاصرة، فهو قاص، روائي، كاتب مسرحي، صحفي شاعر، رسام ومترجم إلى الكردية عن اللغات: الفارسية والعربية والآذرية. وقد ترجمت غالبية أعماله إلى اللغات: العربية، الفارسية، التركية والفرنسية، ومنها مجموعته القصصية (الطريدة) ورواياته: النباح/ الإنهيار/ الثأر/ والتنين.. ومسرحياته: ثلاث محاكمات، وهارون الرشيد.

*من ترجماته عن الفارسية: تاراس بولبا لكوكل/فيفا زاباتا لجون شتاينبيك/ حمارنامه/ ودراسة عن الشاعر خسرو كلسخي.

ومن ترجماته عن العربية إلى الكردية: همنكواي لفيليب يونك/ هنري جيمس ليون نيدل/ حديقة الحيوان لأدوار ألبى/ الجسر لجورج ثيوتيكا/ المرحوم لبرانسيلاف/ القيثارة الحديدية لجوزيف أوكونور/ قصائد بريخت/ مسرحيات: الظمأ، الضباب، عربة الموت ليوجين أونيل/ مسرحيات: البجعة، مسسر جوليا، سموم، اللعب بالنار لسترينبرك/ مسرحيتا: اليمامة، حلم الملك لحبي الدين زكنه.

ومن ترجماته عن الآذرية: مسرحية الأموات لجليل محمد قليزاده.

ومن ترجماته عن الكردية إلى العربية: قصائد للشعراء قوباد جليزاده وشيركو بيكس وصلاح شوان.

*يعمل منذ سنوات رئيساً لتحرير مجلتي (بيفين) الصادرتين باللغتين الكردية والعربية

(مهداة إلى الذين لم يلقوا حتوفهم في الإحتراب الإنتحاري، ولا يريدون أن يهلكوا في الإحترابات المقبلة)
 (أنا) ولدت بالخطأ وسموني بالخطأ، وحياتي كلها خطأ في خطأ... وقد دحرت الخطأ بالخطأ؛ حتى استحلت
 كدساً متراكماً من الأخطاء.

لَمْ أدرك هذه الحقيقة بنفسني، ولم أكن سائحاً أو من هوأة السفر؛ حتى يتبين لي هذا الأمر بالمقارنات.
 قطعاً.. لأعرف متى وكيف صارت هذه الحقيقة جزءاً من حياتي.
 خطأ ترى عيناى الأسود كأبيض والأبيض كأبيض، وأذناى حسب الدستور نفسه بالخطأ تسمعان الجيد جيداً
 والسيء سيئاً. أم لسانى فهو أكبر خطأ حدّ لخبطة كلّ نواياى؛ فإن نويت القول:
 - " كان صاحبنا يرتدى زياً أبيض، ويشبه ملكاً، وهو بعيد عن المنكر وسوء الطويّة. إنه نعم الإنسان الطيب
 الصّالح، وكل ما نتقولّه عنه إفترأ وبهتان وحسد، وبعيد عن سلوكه الحسن الطاهر. إنه ذو شخصيّة قويّة ،
 ويتسم بقوة الإرادة والوفاء والإخلاص والجرأة.. أجل؛ إنه صادق وشجاع.. إنه إنسان بمعنى الكلمة"
 فإذا بلسانى يستبدل كلّ هذا الذي نويت قوله، ولأدري كيف ينطق فوراً:
 - " كان صاحبنا يرتدى زياً أسود، ويبدو شريراً شبيهاً بالشيطان. إنه فاعل المنكرات وشخص سيء؛ فكلّ
 ما نقوله عنه هو عين الحقيقة ويجلو نواياه الخبيثة. إنه عبد خنوع وعميل مأجور.. يا له من ناكر جميل،
 جبان، بل حيوان ابن حيوان!"

ويبدو أن الخطأ مازال هيناً حتى هذا الحدّ، وغير مرّكز ومكثّف، فماذا ستقولون إن قلت لن أقف عند هذا
 الحدّ؛ حيث ينقضّ عليه لسانى فيصليه بوابل من الكلمات المردرة:
 - " ليس وحده هكنا؛ إنّما هذا ديدن أصله وفصله، وقد ورت هذه الخصال عن أجداده وأسلافه... إن كلّ
 السوءات والكبائر لاصقة بهم وتبدر عنهم.. أجل؛ كلّ ما تقولونه عنه عين الحقيقة : قاتل، لص، سلاب، نهّاب،
 مافيا، خائن، جاسوس، سيّء الأخلاق، كلب ابن كلب"
 وتنهمر الكلمات ومرادفاتها من لسانى مدرارة؛ فيخرجني سيلها العرمرم أيّما احراج، حتى إذا ما استفقت
 أجدني وقد ألصقت بنفسني هذه النوعات والصفات كلّها! ودون أن أراجع نفسى ، أحول فوراً لسانى التعيس
 الملتصق بي إلى (الطابكير) حيث أعيده القهقرى بمائة وثمانين درجة!
 - " حقاً انه من عائلة شريفة نبيلة المحتد... إنه شهيم، مضج، ثوريّ، ذو سلوك حميد، مخلص، طاهر اليد
 واللسان، وطنيّ غيور وعالي الخلق.."

وعندها أستعيد وعيي؛ فيتبين لي انني أتحدّث عن نفسى، حيث منحت لنفسي كلّ ما ليس لي؛ فأشفق
 لحظتئذ ليس على نفسى فحسب، وإنما على تلكم الكلمات المسكينة... فيا ترى كيف ينقضّ لسانى (حجر المسنّ)
 هذا على جسمى العارسز وروحي اللعينة، ويمزّق سدى أوصالي إرباً إرباً، ويحيلها لقمة تقطّعها أسناني
 ويمضغها لسانى للمتخرّصين وأعدائي! أو يعلّق الأوسمة والنياشين الزائفة على صدري!

هذا ما يفعله لساني وهو واحد؛ فكيف يكون الحال مع أذنيّ سيّتيّ السمع وهما اثنتان اثنتان؟!
الأذن اليسرى / الأذن اليمنى كلتاها تخدع شقيقتها! تستمع اليمنى لليسرى، واليسرى تبتغي السماع حسب
رغبتها ومرامها؛ فإذا ما سمعت الأذن اليمنى:

- "من أجل مصالح المظلومين المحرومين؛ يرفض يساريّو البلد التعامل مع الحكّام من أعداء طبقتهم"
تسجّلها فوراً:

- "لقد تمردّ يساريّو الوطن وانحرفوا متحالفين مع أعداء طبقتهم"
وإذا ما سمعت الأذن اليسرى:

- "أيها الوطن! أنا مفتون بك وقد تذكّرت سيماءك"
تدوّنها هكذا في الحال:

- "أيها الوطن! أنا ممتن لك وقد تذكّرت سيمائي"
إنني أكّادس متراكمّة من الأخطاء... فقد ولدت أصلاً بالخطأ، لكن يا للحييف لن أموت بالخطأ نفسه!
ثمّ إن عينيّ اثنتان اثنتان:

اليسرى لإستهداف نفسي، واليمنى للمهمّة نفسها.

ومن ثمّ ثمة يداي وهما اثنتان اثنتان، ويا للحييف لديّ عشر أصابع فقط.

خنصري للضغط على الزناد والتسديد نحو نفسي.

بنصري للضغط على الزناد وتجريح نفسي.

وسطاي للضغط على الزناد والإنتحار.

سبابتي للضغط على الزناد وإزاحة نفسي.

وابهامي للضغط على الزناد وتضريط نفسي.

لأدري لأيّ من يديّ هذه الأصابع، أمّ أصابع يدي الثانية:

الخنصر للبصق والزعل

البنصر لكلّ شيء ولا شيء

الوسطى للإنتعاض والشتائم السوقية

السّبابة لشهادة الزور

وابهام لاستمراء الخنوع.

خطأ أنا وموجود بالخطأ على هذه الأرض، التي أوسّخها بالأخطاء.

ولي ساقان، يا لهما من ساقين!

فالآخرون تتشوّش رؤوسهم خلال المشكلات والمعضلات، أمّا أنا فساقاي!

ساقى اليمنى عدوّة لنفسها وساقى اليسرى عدوّة لأعدائي وصديقة لأعدائي.

ساقى اليسرى عدوة لكل أصدقاء وأعداء ساقى اليمنى.
كلتاها عدوة لجسمي
وجسمي عدو لروحي
وروحي عدوة لكل ذي روح
فلكى أبرهن على دقة تصويبي؛ أقتل بلبلاً بطلقة واحدة وألثم لحمه!
كل شيء ينحدر ليساري، بينما تخطو أشيائي اليمينية صعوداً.
إنني أكداس متراكمة من الأخطاء... فقد ولدت أصلاً بالخطأ، لكن للأسف لن أموت بالخطأ نفسه!
لقد هلكت أقوام اسبارطة وساسان وفنيت عن بكرة أبيها، لكنني لم أفن!
إن بقائي لخطأ التاريخ الشره الكذاب الحربي.
وعنادي هذا لهو خطأ العلم والقسوة.
وإن صمودي وبقائي على قيد الحياة خطأ سايكولوجي، ايديولوجي وتنكولوجي!
وانتحاري الآن وفنائي خطأ الأخطاء.
فأنا الآن خطأ الأخطاء.
قبل بضع سنين قيل لي:
- الإحتراب مع جسمك سييء؛ مهما كانت الذريعة.
فصمتت. وبعد إحترابي مع نفسي، وإثر التجربة المريرة؛ تبين لي فعلاً مدي ضرره.
وبعد سنين أخرى ، كرروا علي القول نفسه؛ فتبين لي بعد التجربة انه سييء فعلاً؛ فقالوا:
- لماذا كررته وقد عرفت من قبل؟!
- لكي أبرهن عملياً مدى سوئه.
وخلال الأشهر القليلة الماضية حدثني ضميري (الذي عندي وليس عندي) بالشيء نفسه، ولكن ككلام
مجرد..كلام بانس على لساني القاطع لنفسي، فقلت:
- " كل شيء تتجلى جودته أو سوءته؛ إثر التجربة"
وفضلاً عن التفاهات؛ فأنا عدو لدود لشبه الضمير هذا! وهذا أيضاً مجرد كلام، ولقد وضع كلاماً معقولاً
على لساني قائلاً لي:
- " إنك ذو تجارب جمّة؛ فليس من داع أن تستنبط النتائج نفسها من الأخطاء المكررة نفسها. وإذا بلساني
يستمطرالكلمات هكذا:
- " وكيف أبرهن إذن على أن الحرب مدمرة؟!"
أنا خطأ وبالخطأ سميت ، بل وإنسان بالخطأ؛ وإلا فأنا دابةٌ بهيمة، لو إستبدلوا الحمار بي؛ لخسروا البرذعة!
وفوق كل هذا، أنا مجرد خادم ، خادم لأحد الآغوات، أبرهن له صواب الأكاذيب..وأغاي هذا خادم لأحد الآغوات

الكبار، يجمل له أكاذيبه.. وآغا آغاي خادم للأغا الأعظم، يجمل له الأكاذيب الكبرى، ويكذب له وعليه، ويضع الأكاذيب على لسانه!

وهكذا فأنا الخادم الأحمق في مصنع الأكاذيب العظمى، لست سوى كيان كاذب.

ولأعرف الآن أيّ كذبة أخرى في جعبتي!

إن تهديدي كذب وحروبي أكذب!

عاطفتي كذب وبغضائي أكذب!

وأكاذيبي أكذب من الكذب!

لقد ولدت خطأً وسميت خطأً فأنا خطأ الأخطاء.

يبدو أنني قد عرفت نفسي لماً حتى هذا الحد؛ وقد حان الحديث عن مهمتي.

إنني مدحج بشتى الأسلحة مثل المسلّحين الكثيرين هنا وهناك:

بالمسدس، الكلاشنكوف، ال (ب. ك. سي)، الدوشكه، مدفع ١٠٦ ملم، المدفع النمساوي، الكاتيوشا... لكن يا

الحييف والحسرة؛ ليست لديّ طائرة حربية، أسلحة كيميائية ونووية.. يا مائة حيفا!

إذن؛ لأحتاج المستلزمات الحديثة الأخرى للحرب؛ فمثلاً لست بحاجة البتّة إلى كلب بوليسي؛ لأنني أكلب!

بل كلب ابن كلب أضعافاً مضاعفة، حتى ان أيّ جلدٍ متمرّسٍ قديرٍ يحتاج التلمذ على يدي في دورة تقوية

لستة أو سبعة شهور على الأقل! فلي تاريخ مشهود في اللصوصية والنهب والسلب؛ إذ أتقنت الطفيلية الشرهة

الشرسة حدّ اقتلاع أشجاري وأحجاري وتهريبها مع الديناميت عبر الحدود المجاورة. وإعفاء نفسي وتعريج

نفسي وإفناء ذاتي مقابل بضعة دنانير وتومنات وليرات ودولارات؛ لم ولن أتوان عن تشويه سمعة هذا أو ذاك؛

يكفيهم فقط وضع سطر واحد على لساني؛ فلاحقاً لاترتضوا بي، إن لم أدبج عشر صفحات عن مثالب أخته

وأمه، بل شجر وحجر منزله، وحتى العصفور المتقافز على شرفته!

هو ذا أنا خطأ الأخطاء...

لست أتذكر الآن ولن أستطيع إحصاء الخنادق- الإسطبلات، التي استبدلتها هنا وهناك.. ولاتصوّروا

انهم لا يعرفونني على حقيقتي كمخلوق تافه وسافل. أجل؛ إنهم يعرفون حقيقتي جيداً، لكنهم يحترموني

ويكافؤوني؛ لأنني ضروريّ لهم فهم يحتاجونني! بعبارة أوجز، لولاي؛ لما كانوا، ولو لم يكن أمثالي؛ لكانوا

مجرد نكرات وشذاذ آفاق!

يقيناً ولدت بالخطأ، وبالخطأ سميت، وكلّ سنيّ عمري أخطاء تترى... هذا أنا أكداً أخطاء متركمة، بل

خطأ الأخطاء.

أولّ أمس ليلاً، اجتمع بنا قائدنا العسكري الجديد، وابتدأ يسألنا الواحد تلو الآخر عن أسمائنا الثلاثية..

ولما جاء دوري:

- أنت يا ذا العينين اللامعتين! ما اسمك الثلاثي؟

فبدلاً من أن أحبيه:

- خطأ ابن خطأ، ابن أخ الخطأ.

إذا بلساني اللعين قاطع ذاتي يهبّ ناطقاً:

- كردي ابن كردي ابن أخ الكردي.

فاستحسن الإسم كثيراً؛ فلم يسيطر على نفسه، فقال متحمّساً:

- تاريخ عائلتكم الفاضلة يشهد على إخلاصها لهذه الأمة وأرضها.. يقيناً لم يكلّ ولم يملّ أجدادكم وأسلافكم من خدمة هذا الشعب المضطهد، البطل، المنتفض، والتفاني من أجله بالغالي والنفيس.. بل يتجلى في عينيك الذكيّتين المتألقّتين مدى تضحياتك وإيثارك وإخلاصك ووفائك.. حقاً أنك أباي بطل مغوار وابن بارّ شجاع لهذا الشعب والوطن المفضّل.

وراح يستمطرنني مدراراً مادحاً إياي وحامداً كلّ ما ليس فيّ! طبعاً ما كان يهّمه قطعاً إن كنت أتسم حقاً بما ينعتنني به أم لا! وسرعان ما أناط بي مهمدة قيادة مفرزة ضاربة.. ويا لها من مهمّة يسيرة عليّ! فانطلقت في الحال صوب جبهة الإحتراب الضاري، بينما انطلق قائدي الهصور صوب زوجتي الحساء الوديعة. وفي صباح اليوم التالي، عدت إثر تنفيذ المهمّة مع غنائمي وهدايا الإحتراب:

إحدى عينيّ/ إحدى ساقيّ/ إحدى أذنيّ/ أنا العبد الخنوع/ إحدى يديّ/ أنا الغلام الخادم المؤبّد!

وإذا بقائدي الجديد ينبج في وجهي:

- ما أفلذ غنائمك وهداياك!

فاجتاحني الرجفة ورحت أرتعد ارتعاداً.. أمذا قائدي الفذ فكان وجهه يتألّق هاشاً هاشاً كقائدي السّابق... وهكذا دواليك.. كان ينطلق نحو زوجتي؛ كلّما أرسلني في مهمّة، وهو ينصّحني:
- إنتبه يا صاح! إن نضالك المستميت هذا سيثمر من أجل الكرد وكردستان!
حقاً مايقوله؛ فقد كان قائدي السّابق أيضاً كخلفه هذا جريئاً، بأسلاً، نهّاباً وسلّاباً؛ فلاغرابة إذن أن يكون (أبنائي!!!) في الإحترايات الإنتحاريّة بسلاء، صناديد، نهّابين وسلّابين.
حقاً وحقيقة، ولدت بالخطأ، وأنا خطأ الأخطاء، بل قوواد القووادين؛ مادمت صاحب تاريخ (شرفنامه)!

تنويه لابدّ منه:

أطلب المعذرة والمغفرة من أرواح الرجال الأفذاذ:

- شرفخان البدليسي/ مؤلف (شرفنامه)

- الشاعر فائق بيكس

- بريخت.

★ عارنامه/ قصة: محمد موكري/ جريدة (كوردستاني نوي/ كردستان الجديدة) 17/كانون الثاني/1995